الرسالة

(أفسس ٢: ٤–١٠

يا إخوةُ إنَّ اللهَ لكونِهِ غنيًّا بالرحمةِ ومن أجلِ كثرةِ محبته التي أحبَّنا بها* حينَ كُنَّا أمواتًا بالزلّاتِ أحيانا مع المسيح (فإنَّكم بالنِعمةِ مخلَّصون)* وأقامنا معهُ وأجلسنا معه في السماويَّات في المسيحِ يسوع* ليُظهِرَ في الدهورِ المستقبلةِ فَرْطَ غِنى نِعمَتِه باللطفِ بنا في المسيحِ يسوع* فإنَّكم بالنعمةِ مخلَّصونَ بواسطةِ الإيمان. وذلكَ ليسَ منكم إنَّما هو عطيَّةُ الله* وليسَ من الأعمالِ لئلاَّ يفتخِرَ أحدٌ* لأنَّا نحنُ صُنعهُ مخلوقينَ في المسيحِ يسوعَ للأعمالِ الصالِحةِ التي سبقَ اللهُ فأعدَّها لنسلُكَ فيها.

تُعوزُك واحدةٌ

بدأنا منذ أيّام قليلة رحلة الصوم الميلاديّ الذي نتهيَّأ فيه لاستقبال ملك المجد آتيًا بالجسد ليخلّصنا ويعيدنا إلى ملكوت السموات الذي فقدناه بالسقوط. هذا الملكوت نفسه، أتى الشاب المذكور في إنجيل اليوم (لو ١٨: ١٨–٢٧)، يسألُ الربَّ عنه: «أيُّها المعلِّمُ الصالحُ ماذا أعملُ لأَرِثَ الحياةَ الأبديَّة؟». سؤالٌ نطرحه جميعنا، إذ إنّنا كلّنا نبحث في أعماقنا عن خريطة طريق تعيدنا إلى علاقة الشركة مع الله، وهذا هو الملكوت.

أيضًا، سمعنا هذا السؤال نفسه منذ أسابيع قليلة في مَثَلَي السامريّ الشفوق (لو ١٠: ٢٥–٣٧)، والغنيّ الجاهل الذي أخصبت أرضه (لو ١٢: ١٦–٢١) حيث اكتساب الملكوت كان فحواهما.

جواب الربّ عن سؤال الشاب كان واضحًا: مَن يريد أن يدخل ملكوت الله عليه أن يقوم بأكثر من حِفظ الوصايا، أي عليه تطبيقها وعدم مخالفتها. قال الربّ للشابّ إنّ الوصايا تقول: «لا تسرق، لا تزن، لا تشهد بالزّور...»، فأجاب الشابَ: «هذه قد حفظتها منذ صبائي»، أي لم يقتل أو يسرق أو يزنِ أو يشهد بالزّور. لكن ألّا نفعل هذه بالنسبة إلى الرب، لا يعني أنّنا سندخل الملكوت حتمًا، إذ إنّ هذه يجب أن تُتَوَّج بعملٍ صادرٍ من الذات، ومن الكيان. لذا، قال الربّ للشابّ: «إذهب وبِعْ ما لكَ ووزِّعه على المساكين»؛ أولئك المساكين الذين يغصّ الكتاب المقدّس بذكرهم منذ العهد القديم، وقد شكّلوا الميزان الذي بحسبه يدين الله شعبَه؛ فإذا كان الشعب صالحا مع المساكين، كان الله راضيًا، وإلّا يأتي عليهم بدينونته: «لأنّهم باعوا البارَّ بالفضّة، والبائسَ لأجل نعلَين، الذين يتهمّمون تراب الأرض على رؤوس المساكين، ويصدّون سبيل البائسين» (عا ٢: ٥–٦). في مَثَل السامريّ الشفوق، أجاب الربّ عن السؤال بضرورة حفظ الوصيّتين، الأولى: «أحبب الربَّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ ذهنك»، والثانية مثلها: «أحبب قريبك كنفسك»، ثمّ

العدد ٢٠١٩/٤٧

الأحد ٢٤ تشرين الثاني

تذكار إقليمندس بابا رومية وبطرس بطريرك الإسكندرية

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الأول

روى مباشرةً قصّة السامريّ الشفوق الذي عمل رحمةً مع الإنسان الذي وقع بين أيدي اللّصوص، الذين ضربوه وتركوه بين حيّ وميت. يريد الربّ يسوع أن تكون وصاياه مترجمةً بأعمال المحبة، لا أن تبقى نظريّات. كان باستطاعة السامريّ، العدوّ، ألّا يهتمّ بالجريح، ولن يلومه أحد، إذ ليس هو الذي اعتدى على الرجل. فمن حيث المبدأ، هو لم يخالف الوصايا، إلّا أنّ الربّ يريدنا ليس ألّا نخالف الوصايا فقط، بل أن نفعل من تلقاء أنفسنا ونعطي من ذواتنا وممّا لدينا (السامريّ دفع من ماله الخاصّ لصاحب الفندق ليعتني بالجريح).

عودةً إلى إنجيل اليوم، نقل الربُّ الشابَّ من الجانب النظريّ إلى الجانب العمليّ: «واحدة تعوزك بعد. بِعْ كلَّ ما لكَ ووَزِّعه على المساكين». عبارة «ما لكَ» لا تعني فقط المال والممتلكات، بل أيضًا المواهب والمزايا والمراكز الاجتماعيّة والوظيفيّة. الغنيّ الجاهل، الذي سمعنا عنه سابقًا، «ما له» كان المحصول الزراعيّ الذي لم يُرِد أن يشارك به أحدًا، رغم أنّ المحصول كان نتيجة عطاء إلهيّ. يقول لنا الربّ إنّنا لا نخلص دون أن نشارك الآخرين غنانا. ألم يقل على لسان كاتب المزامير: «بدَّدَ، أعطى المساكين، فبرُّه يدوم إلى الأبد» (١١١: ٩). قد يكون ما لك هو وظيفة تستطيع من خلالها أن تتحكّم بمصير الناس بدل مساعدتهم وخدمتهم. قد يكون ما لك هو غنًى علميّ تحتكره لنفسك ولا تُفيد منه البشر، أو موهبة معيّنة تستفيد منها أنتَ فقط ولا تهتمّ بغيرك. يبقى أنّ المال هو أهمّ صورة للغنى، لِما يحمله في طيّاته من سلطة ونفوذ. لذا، فإنّ الربّ يسوع قال إنّنا لا نستطيع أن نعبد ربَّين: الله والمال (مت ٦: ٢٤). الغنى الحقيقيّ هو محبّة الله لكَ من خلال محبّة الناس الذين شاركتَهم بما لكَ.

أخيرًا، نعود لنشدِّد على أنّ الكنيسة اختارت هذه النصوص الكتابيّة المتوالية، لكي تهيّئنا لاستقبال ملك المجد متجسّدًا كإنسان، هو الإله الذي صار إنسانًا ليخلّصنا. صار المسيح إنسانًا مثلنا، وعاش بيننا، ووضع لنا خريطة طريق العودة إلى الملكوت، وهذه العودة بدأت مع ميلاد الربّ. لكي يكون هذا الميلاد بدايةً لعودتنا إلى الملكوت، علينا أن نتشبّه بَمن بادر لخلاصنا، فنكون سبّاقين ومبادرين لخدمة إخوتنا ومشاركتهم في كلّ شيء، هكذا تكون هذه أكبر هديّة نقدّمها لهم ولأنفسنا: إنّها هديّة الملكوت. متى عاين إخوتُنا الصغار أنّ ما نفعله هو باسم الربّ يسوع، نكون مرشدين إيّاهم نحو الملكوت، فندخل معهم إلى الفرح الأبديّ.

القدّيس يعقوب الفارسيّ المقطّع

تعيّد كنيستنا المقدّسة في ٢٧ تشرين الأوّل للقدّيس يعقوب الفارسيّ المقطّع، الذي وُلد في مدينة لابات شمالي الخليج الفارسيّ. كان من عائلة مسيحيّة نبيلة وثريّة، قيل إنّها امتازت بالكرم وضيافة الغرباء.

تلقّى القدّيس يعقوب قسطًا وافرًا

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٨–٢٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسانٌ مجرِّباً له وقائلًا أيُّها المعلّمُ الصالحُ ماذا أعمَلُ لأَرِثَ الحياةَ الأبديَّة* فقال لهُ يسوعُ لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلَّا واحدٌ وهو الله* إنَّك تعرِفُ الوصايا لا تزنِ، لا تقتُلْ، لا تسرِقْ، لا تشهَدْ بالزور، أكرِم أباك وأمَّك* فقال كلُّ هذا قد حفِظْتُهُ منذ صبائي* فلمَّا سمِعَ يسوعُ ذلك قال لهُ واحدة تَعوزُك بعدُ. بِعْ كلَّ شيءٍ لك وَوَزِّعْهُ على المساكين فيكونَ لك كنزٌ في السماءِ وتعالَ اتبعني* فلمَّا سمِعَ ذلك حزِنَ لأنَّهُ كان غنيًّا جدًّا* فلمَّا رآهُ يسوعُ قد حزِنَ قال ما أعْسَرَ على ذوي الأموالِ أن يدخلوا ملكوتَ الله* إنَّهُ لأَسهَلُ أنْ يدخُلَ الجَمَلُ في ثَقبِ الإبرَةِ من أن يدخُلَ غنيٌّ ملكوتَ الله* فقال

السامِعون فمَن يستطيعُ إذاً أن يخلُصَ* فقال ما لا يُستطاعُ عند الناسِ مُستطاعٌ عندَ اللهِ.

تأمل

تصبح أملاكنا ملكًا لنا بخاصةٍ عندما نملّكها باستمرار لا لأنفسنا بل للفقراء. إن كنتَ قد أقرضتَ إنسانًا المال للإستفادة، فقد حصلتَ على جزءٍ من مئة، وأمّا إن أقرضتَ الله عبر الفقير، فلن تحصل على جزءٍ من مئةٍ بل على مئة ضعف. إذًا، ماذا سيكون دفاعنا؟ أن نعتصم بالفقر على الأقلّ! لكن، لسنا أكثر فقرًا من تلك الأرملة التي مضت حتى إلى التجرّد عن فلسيها الوحيدَين اللذين كانا بحوزتها (لو ٢١: ١–٤).

إنكم تدفعون الكثير لكي تتوّشحوا بالذهب، فيما أعضاء المسيح لا خبز لديهم. إنّ ثمة مخلوقًا مصنوعًا على الصورة الإلهية، يتألّم ويصير مهمّشًا، فيما تغطّون رؤوس بغلّاتكم من علوم عصره، وكان غيورًا على خدمة الناس ووديعًا. إرتبط بصداقة حميمة مع الشاه الفارسيّ يزدجرد الأوّل (٣٩٩–٤٢٥) الذي أعطاه امتيازات شتّى، فأصبح يعقوب على علاقة مع أهل القصر وكبار القوم، ما أثّر في نفسه وجعله معجبًا بالمقامات والأمجاد العالميّة. كانت المسيحيّة في بلاد فارس تتعرّض للإضطهاد، لا سيّما بعدما عمد أسقف المدائن، القدّيس عبدا الشهيد، إلى إحراق معبد الشمس حيث اعتاد يزدجرد الأوّل تقديم ذبائحه (٤١١ م). عندئذٍ، فرض الشاه على يعقوب أن يختار بين إيمانه بالربّ يسوع المسيح، والحظوة لدى الشاه، فاختار امتيازات هذا الدهر وأمجاده وبات شريك الشاه في عبادة الأوثان.

بلغ خبر سقوط يعقوب المسيحيّين، فكان له فيهم وقع الصاعقة، لا سيّما أنّ يعقوب أحد أعمدتهم، فبادرت والدة يعقوب وزوجته إلى إرسال رسالة بلّغتاه فيها أنّهما تقطعان كلَّ علاقة به لأنّه آثر مجدًا عابرًا على محبّة المسيح، ووعد الحياة الأبديّة. يقول التقليد إنّ نصّ الرسالة كان: «عارٌ على من هو مثلك، رفيع في الحسب والنسب والإيمان أيضًا، أن يسقط في جبّ الضلال العالميّ طمعًا في أمجاد تافهة مزيّفة. مؤسف جدًّا أن تؤثر الملك الأرضيّ على الملك السماويّ، ملك الملوك وربّ الأرباب. ماذا نقول فيك يا مستحقّ النوح والبكاء والشفقة؟ أيّة عطيّة سيجزل لك يا عديم العقل؟ إنّنا ننوح من القلب ودموعنا تتساقط مدرارة حزنًا على صنيعك الممقوت. لكنّنا نضرع إلى الرّبّ أن يفتح عينيك المغمضتين وأن يلقي بنوره الإلهيّ في صدرك كي تعود عن غيّك وضلالك. حاول أن تفهم ما آلت إليه حالك. جرّب أن تدرك الخطيئة العظيمة التي وقعتَ فيها. فكّر في أنّك كنتَ ابنًا للنور فأصبحت ابنًا لجهنّم. لا تفوّت فرصة خلاصك، ولا تؤجّل عمل التوبة. مدَّ إلى العليّ يد التضرّع والانسحاق. عد إلى رشدك وصوابك فيعود فرحنا بك. ولا تنسَ أنّ إصرارك على ما أنت فيه سيجعل بينك وبيننا قطيعة».

كان وقع الرسالة قويًّا على يعقوب، فتاب عمّا فعله وبكى مثلما بكى الرسول بطرس عندما أنكر المسيح. أصبح كلّ همّه أن يمحو خيانته لربّ السماوات والأرض، بالدّم إن لزم الأمر. لذلك، جاهر بإيمانه بالربّ يسوع ونبذ الأوثان. لم يترك مناسبةً إلّا وفعل فيها كذلك إلى أن بلغ خبره الشاه نفسه، فاستدعاه وسأله عن حقيقة الأمر، فاعترف ولم ينكر. بدا الشاه لبعض الوقت غير مصدّق، لكنّ يعقوب أصرّ. حاول يزدجرد إغراءه بالمناصب والمال والأمجاد فلم يبالِ. قال إنّه مستعدّ أن يهبه نصف مملكته فلم يصغِ. ذكّره بالشباب وحلاوات الحياة فلم يتزحزح. هدّده فلم يكترث. عندئذٍ، خرج الشاه عن طوره وأسلمه، بغضبٍ شديد، إلى التعذيب.

كانت المرحلة الأولى من التعذيب عاديّة، لكنّ صلابة يعقوب واستخفافه بها جعلا يزدجرد في غضب عظيم، فأمر بإنزال أقسى وأصعب أنواع

التعذيب بيعقوب: تقطيعه قطعة قطعة حتى يلفظ نفسه الأخير. بدأ الجلّادون بتنفيذ الحكم، فقطعوا أصابع يديه ورجليه ثمّ ذراعيه وساقيه. إذ كان يعقوب في آلام فظيعة، صرخ إلى الرّبّ يسوع: «أغثني يا ربّ»، فجاءت قوّة من عند الله جعلته يصبر على الألم، وكأنّ ما يجري كان على جسد شخص آخر. أخيرًا، قطع الجلّاد رأسه، فتوقف مجرى الأوجاع ونال يعقوب إكليل الشهادة.

كان استشهاد القدّيس يعقوب في مدينة بابل على نهر الفرات، وقيل إنّه كان يوم جمعة، وقد تمكّن بعض الأتقياء من سرقة الجثمان ولملمة الأطراف ونقل الهامة لتوارى الثرى بإكرام وخشوع.

لعلّ أبرز ما يستدعي اهتمامنا في سيرة القدّيس يعقوب الفارسيّ هو الرسالة التي كانت السبب الرئيس في نيله القداسة. أدّت والدة يعقوب وزوجته الدور الأكبر في إعادة القدّيس إلى المجد الحقيقيّ بدلًا من المجد الدنيويّ المؤقّت. للأسف، نصادف في حياتنا ما هو عكس ذلك، إذ كم من مرّة نسمع أنّ إنسانًا باع مبادئه وأخلاقه من أجل منصب متقدّم بين كبار قومه؟ أو كم من مرّة نعاين أهلًا حزنوا عند معرفة أنّ ولدهم قرّر الالتحاق بالحياة الرهبانيّة وحسبوه كمن يذهب إلى الموت برجليه؟ لقد كابد أجدادنا والمسيحيّون في القرون الأولى شتّى أنواع التعذيبات، وغالبيّتهم وصلوا إلى القداسة عن طريق الاستشهاد، ولم يقبلوا أن يتنازلوا عن وديعة الإيمان لكي تصلنا نقيّةً وصافية، أمّا في زمننا، فنجد الناس مستعدّين أن يبيعوا هذه الوديعة من أجل راحتهم الشخصيّة. ألا نسمع عن أزواج بدّلوا مذهبهم لكي يصلوا إلى الطلاق؟ إنّ هدف الإنسان المسيحيّ من قراءة سِيَر القدّيسين هو التمثّل بهم وبأعمالهم. نصلّي ألّا يعود بنا زمن الاضطهاد الجسديّ، لكنّ الكنيسة دائمًا في حالة حرب غير منظورة مع قوى الشرّ، وعلى كلّ مؤمنٍ أن يشهد للمسيح في هذه الحرب، بكلامه وبأعماله. ألا أهّلَنا اللهُ، بتوسّلات القدّيس يعقوب الفارسيّ المقطّع، أن نكون شهودًا أمناء لإلهنا، لكي نستحقّ نحن أيضًا أن نُدعى قدّيسين.

عيد القديسة كاترينا

بمناسبة عيد القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٩ وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الإثنين ٢٥ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان.

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei
أو
www.quartos.org.lb

وبالحُلى البرّاقة.

... بعد الطعام، يُدخل الأثرياء عازفي القيثار والمزمار. هؤلاء القوم يجعلون من منزلهم مسرحًا، أمّا أنت فاجعل من منزلك السماء. والحال أنّك ستقوم بذلك، دونما تغييرٍ للجدران ودونما قلبٍ للأسس، بل في دعوتك إلى المائدة سيّد السموات شخصيًّا؛ فالله لا يخجل من وجباتٍ كهذه. في هذا الموضع، يوجد التعليم الروحيّ فعلًا، والزهد، والوقار، والاعتدال. في هذا الموضع، ثمّة رجلٌ وامرأةٌ وأولاد، وئامٌ وودّ، مشدودون برُبط الفضيلة، والمسيح في الوسط. إذ إنه لا يطلب سقفًا من ذهب، ولا أعمدةً لمّاعة كالبرق، ولا جمالاتٍ من المرمر، بل لمعان النفس، وإشراق الضمير، ومائدةً حافلةً بالبّر الحامل ثمار الإحسان. فإنّه، حالما يرى مائدةً كهذه، يشترك في الاجتماع ويحضره.

القديس يوحنا الذهبي الفم